الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

محور اللغة العربية والعلوم الدينية-اللغة العربية وتفسير القرآن الكريم

عنوان البحث: "السياق والمقام في اللغة العربية وأثرهما في تفسير القرآن الكريم"

د. رنا محمد صلاح الدين موسى-دكتوراة في الشريعة/ جامعة دمشق

محاضرة في جامعة دمشق ومدرسة في جامعة بلاد الشام، أستاذ مساعد في جامعة باشن

حاصلة على الإقامة الذهبية في دبي عن فئة المؤلفين المبدعين.

الملخص

تمتاز اللّغة العربيّة عن غيرها من اللّغات بقواعدها وأساليبها وبلاغتها، ويعدّ السّياق أحد عناصر الخطاب في اللّغة العربية، والذي في ضوئه تُفهم النّصوص ويتوضّح معناها، وأمّا المقام فيعدّ الرّوح التي تسري في النّصّ العربيّ، وتضفي عليه طابعاً معيناً يُفهم في ضوئه كثيرٌ مما ورد في النّص، فمقام التّشكّر يباين مقام الشّكاية، ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذّمّ، ولا يقلّ دور المقام شأناً عن دور السّياق في تفسير النّصوص وتوضيح معناها، فالسّياق والمقام يشكّلان تماسك النّص وروحه.

ولقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم، وجاءت الآيات القرآنية توضّح هذه الحقيقة وتؤكّد معناها، وهذا ما جعل مفسري القرآن الكريم يتنبّهون لدور كلّ من السّياق والمقام وأثرهما في تفسير النّصّ القرآنيّ في الدّرجة الأولى، وفي التّرجيح بين الأقوال في الدرجة الثانية، ولقد اخترت أن ألقي الضوء على حقيقة كلّ من السّياق والمقام في اللغة العربية، وأثرهما في التّفسير والتّرجيح عند مفسري القرآن الكريم.

ولقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والمنهج التّحليليّ، وذلك من خلال استقراء بعض المواضع الذي ظهر فيها أثر السّياق في التّفسير عند المفسّرين، وكذلك استقراء بعض المواضع التي ظهر فيها أثر المقام عندهم، والقيام بتحليلها وبيان أقوال المفسّرين فيها، وخلص البحث إلى بيان الدّور المهمّ الذي يقوم به السّياق وكذلك المقام في تفسير القرآن الكريم والتّرجيح بين الأقوال التّفسيريّة.

الكلمات المفتاحيّة: السّياق-المقام-اللّغة العربية-البلاغة-التّفسير-التّرجيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم، ولقد جاءت الآيات القرآنية توضّح هذه الحقيقة وتؤكّد معناها، قال تعالى: { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ}[يوسف: 2]، وهذا ما جعل مفسري القرآن الكريم يتنبّهون لدور علوم اللغة العربية على تنوعها في فهم النص القرآني وترجيح معناه، ولقد أدرك المفسّرون أهمّيّة كلّ من السّياق والمقام وأثرهما في تفسير النّصّ القرآنيّ في الدّرجة الأولى، وفي التّرجيح بين الأقوال في الدّرجة الثّانية، ولقد اخترت أن ألقي الضّوء على حقيقة كلّ من السّياق والمقام في اللّغة العربية، وأثرهما في التّفسير والتّرجيح عند المفسّرين.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على بعض عناصر فهم النّصّ في اللّغة العربية وهما السّياق والمقام، مع تحديد الفرق بينهما، وبيان أهمّيّتهما عند المفسّرين، وأثرهما في تفسير القرآن الكريم، والترجيح بين الأقوال.

الأسئلة التي يجيب عنها البحث:

1. ما السياق وما المقام عند البلاغيين في اللغة العربية، وما الفرق بينهما؟
2. ما الأهمية التي أعطاها المفسرون لكل من السياق والمقام، وكيف فعلوا دورهما في تفسير القرآن الكريم وفي الترجيح بين الأقوال؟

أهمّيّة البحث وأسباب اختياره:

تأتي أهمّيّة البحث من كونه يلقي الضّوء على ارتباط علوم اللّغة العربيّة على تنوّعها بتفسير القرآن الكريم، ومدى إدراك المفسّرين لأهميّة النظر في علوم العربية في أثناء تحليل النّص القرآنيّ وبيان معانيه وترجيح بعض المعاني على بعض، كما تأتي أهمّيته من كونه يلقي الضّوء على إدراك المفسّرين المبكّر لأهمّية كلّ من السّياق والمقام وأثرهما في تفسير النّصوص.

منهج البحث وحدوده: تم استخدام المنهج الاستقرائيّ والمنهج التّحليلي، فقد تم استقراء بعض المواضع التي ظهر فيها اعتماد بعض المفسّرين على السّياق والمقام، ثم تحليل عملهم، وقد

قامت الدّراسة على ثلاثة مفسّرين بشكل أساسيّ، وهم *الزّمخشريّ (توفي 538ه) وله تفسير الكشّاف، والرّازيّ (توفي 606ه) وله التّفسير الكبير، والنّيسابوريّ (بين 750ه-850ه) وله تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مع العودة إلى تفاسير أخرى عند الحاجة.*

أدوات البحث: الملاحظة.

كيفية تحليل النتائج: تم تحليل النتائج تحليلاً وصفياً ونوعياً.

خطة البحث:

وقد تم إنجاز البحث ضمن خطة تضمّنت مقدّمة وثلاثة مباحث أخرى وخاتمة.

المبحث الأول: تعريفات أساسية في البحث.

المطلب الأول: تعريف السياق.

المطلب الثاني: تعريف المقام.

المطلب الثالث: التّمييز بين السّياق والمقام وغيرهما من المصطلحات المتقاربة.

المطلب الرابع: تعريف التفسير والترجيح.

المبحث الثاني: دور السياق في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: أثر السياق في التفسير عند المفسرين.

المطلب الثّاني: أثر السّياق في التَّرجيح عند المفسرين.

المبحث الثالث: دور المقام في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: أثر المقام في التفسير عند المفسرين.

المطلب الثّاني: أثر المقام في التَّرجيح عند المفسرين.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريفات أساسية في البحث.

المطلب الأول. تعريف السّياق.

أ.تعريف السّياق لغة:

السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ[1]. وأصل السِّياق: السِّواق، ثم قُلبت الواو ياءً، لكسرة العين[2]. يقال: هو يسوقُ الحديثَ أحسنَ سياقٍ، وجئتُك بالحديث على سَوْقه: أي على سرده[3]. فمدارُ السِّياقِ لغةً على التَّتابعِ والتَّوالي. وأمَّا سياق الكلام وسوقه: فهو الإتيان به متتابعاً[4].

ب.تعريف السّياق اصطلاحاً:

استخدم العلماء الأوائل مُصطلحَ السِّياقِ وتَداولوه دون أنْ يُعرّفوه، حيث إنَّ مصطلحَ السّياق كان واضحاً في أذهانهم، فلم يكنْ هناك حاجة لتعريفه.

ومن تعريفاتِ مصطلحِ السّياق: هو ما يدلُّ على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوقِ لذلك أو لاحقه"[5].

فالسّياق هو القرائنُ اللّفظيةُ التي تحيط باللَّفظ المراد فهم معناه، وتسهم في بيان المقصود منه، وهو ينقسم إلى سابق ولاحق[6].

_وعُرِّفَ السّياق القرآنيّ بأنَّه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنيّة لتبلغ غايتها في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"[7]. وجميع التّعاريف تتقارب في بيان وإيضاح معنى كلمة (السّياق).

---

[1]() ينظر: **مقاييس اللّغة**، ابن فارس، (3/ 117)، مادة (سوق).

[2]() ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور، (10/167)، باب القاف، فصل السين المهملة.

[3]() ينظر: **أساس البلاغة**، الزّمخشريّ، (1/ 484).

[4]() ينظر: **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د.عجاج برغش، رسالة الدّكتوراة، (ص/ 265).

[5]() **حاشية العلّامة البناني على شرح المحلّي على جمع الجوامع للسّبكي**، عبد الرحمن البناني، (1/ 20).

[6]() ينظر: **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د.عجاج برغش، رسالة دكتوراة، (ص/ 266).

[7]() **السّياق القرآني وأثره في التّرجيح الدلالي**، المثنّى عبد الفتّاح محمود، رسالة دكتوراة، (ص:14).

المطلب الثاني: تعريف المقام

أولاً. الْمقامُ لغة: الْمُقَامُ والْمُقَامَةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تُقيم فِيهِ. والْمُقَامَةُ، بِالضَّمِّ: الإِقامة. والْمَقَامَةُ، بِالْفَتْحِ: الْمَجْلِسُ وَالْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ، وقَدْ يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الإِقامة، والْمَقام الْكَرِيمُ: المِنْبَر، وَقِيلَ: الْمَنْزِلَةُ الحسَنة [8]. وربَّما يكون المعنى اللّغويّ الأقرب إلى تعريفِ المقامِ اصطلاحاً هو موضعُ قيامِ المتَكلِّمِ.

ثانياً. تعريف المقام اصطلاحاً:

يقول السّكاكيّ: "لا يخفى عليك أنَّ مَقاماتِ الكلامِ متفاوتةٌ، فمقامُ التَّشكُّرِ يباينُ مقامَ الشِّكاية، ومقامُ التَّهنئةِ يباينُ مقامَ التَّعزيةِ، ومَقامُ المدحِ يباينُ مقامَ الذَّمِّ، ومقامُ التَّرغيبِ يباينُ مقامَ التَّرهيبِ، ومقامُ الجدِّ في جميع ذلك يباينُ مقامَ الهزلِ، وكذا مقامُ الكلامِ ابتداءً يغايرُ مقامَ الكلامِ بناءً على الاستخبارِ أو الإنكارِ... ولكلٍّ من ذلك مُقتضى غير مُقتضى الآخر"[9].

فمَقاماتُ الكلامِ هي الأحوالُ المقتضية لخصوصياتٍ فيه كما ذكرَ البلاغيون [10].

ويمكن أنْ نضعَ تعريفاً للمقام بأنَّه: الحالُ المقتضي لخصوصيةٍ في خطابِ المتكلّمِ تتناسبُ مع تلك الحالِ، سواء أكان ذلك الحال يتعلقُ بالمتكلّمِ أم بالمخاطبِ، أم بالموقف الذي يجمعهما.

المطلب **الثالث. التّمييز بين السّياق والمقام وغيرهما من المصطلحات المتقاربة.**

إنَّ السِّياقَ القرآنيَّ والنَّظمَ القرآنيَّ والمقامَ والمناسبة تشكّلُ بمجموعها منظومةً متكاملةً تبيِّن العلاقاتِ والروابطَ بينَ الكلماتِ القرآنيّةِ والآياتِ والمقاطعِ، وتوضِّح تآلفَها وانسجامَها ضمنَ السُّورةِ الواحدة، ولقد اهتمَّ العلماءُ والمفسِّرونَ ببيانِ هذه الروابطِ، وإنَّ كلمةَ السِّياقِ استُعمِلت عبر تاريخِ التَّفسير كثيراً من قبل العلماء والمفسّرين، وقُصِدَ بها أحياناً السِّياقُ، وأحياناً أخرى النَّظمُ، أو المناسبةُ، ولا بدَّ من نظرةٍ عاجلةٍ للتَّمييز بينها بعد استقرار تعريفاتها عندَ أغلبِ المفسّرينَ اليوم.

---

[8] () **لسان العرب**، ابن منظور، (12/ 498)، باب الميم فصل القاف.

[9] () **مفتاح العلوم**، السّكاكيّ، (1/168).

[10] () ينظر: **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د. عجاج برغش، (ص/256).

فالسّياق هو القرائنُ اللّفظيةُ التي تحيط باللّفظ المراد فهم معناه، وتسهم في بيان المقصود منه، وهو ينقسم إلى سابق ولاحق [11].

وأما النَّظم: فقد عرَّفه الجرجانيُّ بأنَّه: هو تعليقُ الكَلِمِ بعضِها ببعض، وجعلُ بعضِها بسببٍ من بعض من خلال توخّي معاني النَّحو بين الكلِم [12]. فالنَّظْم هو ترتيبُ الكلماتِ في النُّطق بالاستعانةِ بمعاني النحوِ على وفق ترتيب المعاني في النَّفس، وأمَّا المناسبة فهي: "علل ترتيب أجزاء النَّظم القرآني"[13].

كما لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ السّياقَ نوعان: سياقٌ لغويٌّ (نصيّ داخليّ)، وهناك سياقٌ غير لغويٍّ، وهو ما يُعرَفُ بالمقام، وهو الحالُ المقتضي لخصوصيَّةٍ في خطابِ المتكلِّمِ تتناسبُ مع ذلك الحال، سواء أكان ذلك الحالُ يتعلقُ بالمتكلِّمِ أم بالمخاطبِ، أم بالموقف الذي يجمعهما.

وأما الفرق بين السّياق والنّظم والمقام والمناسبة، فالنَّظم يكشف عن حسن ترتيبِ الكلماتِ في النُّطق بالاستعانةِ بمعاني النّحوِ، والسّياق يبحث عن ترابط المعاني بالمعاني السّابقة واللّاحقة [14]. والمقام هو الحال التي تسري مع الكلام كالرّوح وتقتضي نوعاً معيَّناً من الخطاب، وأمَّا المناسبة فوظيفتها الكشفُ عن وجوهِ الرَّبطِ بين الآياتِ والمقاطعِ التي لا تظهرُ لأوَّل وهلة عند النَّظرِ في الآيات، وموضوعها العلاقات بين الآيات والمقاطع والسّور أي الرَّوابط بين الوحدات الكبيرة: الآية مع الآية، والمقطع مع المقطع _حتى مع انقطاع الاتصال النّحويّ أو المعنويّ في الظاهر_، كما تبحث في علاقة السّورة مع السّورة.

ولما تقارب المعنى بين كلٍّ من الّسياق والمناسبة والنّظم، وكان المقام كالرّوح التي تسري في النّص، أردت أن أقف على أهم عناصر تفسير الخطاب في الجملة، واقتصرت على السّياق والنّظم.

المطلب الرابع: تعريف التّفسير والتّرجيح

أولاً. تعريف التّفسير:

---

[11]() ينظر: **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د.عجاج برغش، رسالة دكتوراة، (ص/ 266).

[12]() ينظر: **دلائل الإعجاز**، الجرجانيّ، (ص/ 7).

[13]() **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د. عجاج برغش، (ص/235).

[14]() ينظر: **السّياق القرآنيّ وأثره في التّرجيح الدلالي**، عبد الفتّاح، (ص/14).

التّفسير لغةً: الفَسْرُ: الْبَيَانُ، فَسَر الشّيءَ يفسِرُه، ويفْسُرُه فَسْراً، وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ، والتَّفْسير ُكَشفُ الْمُرادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشكِل [15].

وأما التَّفسير في الاصطلاح: فقد اختلفتْ عباراتُ العلماءِ قديماً وحديثاً في تحديدِ معنى التَّفسير، ولعلَّ من أكثر تعريفاتِ التَّفسيرِ اختصاراً ما جاء في مناهل العرفان: "علمٌ يُبحَثُ فيه عن القرآنِ الكريمِ من حيثُ دلالته على مُرادِ اللهِ بقدرِ الطَّاقةِ البشريَّةِ"[16].

ثانياً. تعريف التَّرجيح:

أ. التَّرجيح لغةً: جاء في مقاييس اللّغة: "(رَجَحَ) الرَّاءُ وَالْجِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى رَزَانَةٍ وَزِيَادَةٍ. يُقَالُ: رَجَحَ الشَّيْءُ، وَهُوَ رَاجِحٌ، إِذَا رَزَنَ، وَهُوَ مِنَ الرُّجْحَانِ"[17]. فالمعنى اللّغوي للرّجَحان والتَّرجيح الذي نتحدَّثُ عنه يدورُ حولَ الوزنِ بين أمرين، والنَّظر فيمن يفضل منهما الآخر.

ب. تعريف التّرجيح اصطلاحاً.

جاء في الكليّات: "التَّرْجِيحُ: هُوَ بَيَان الْقُوَّةِ لأحدِ المتعارضَين على الآخر"[18].

هذا تعريفُ التَّرجيحِ في كتبِ أصولِ الفقهِ، وأما التَّرجيحُ في التَّفسيرِ فقد عُرّف التَّرجيح في التَّفسير بأنَّه:

"إظهارُ قوةِ بعضِ الأقوالِ على بعضٍ في تفسيرِ الآية"[19].

المبحث الثاني: دور السّياق في تفسير القرآن الكريم

المطلب الأوّل: أثر السّياق في التّفسير عند المفسّرين.

إنَّ النَّظر في السّياق كان ولا زال من أهمِّ الأدواتِ الحاضرةِ في ذهنِ المتصدِّي لتفسيرِ القرآنِ الكريم، وقد استعانَ به الصَّحابة والمفسِّرون في تفسير آيات الكتابِ الحكيم، وإن كان استعمالهم له بدايةً دون تعريفِه والتَّنبيه إليه كمصطلح، فمثلاً لم يجرؤ أحدٌ على تفسيرِ قوله

---

[15]() ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور، (5/55)، باب الرّاء فصل الفاء.

[16]() ينظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزّرقانيّ، العلوم التي يحتاجها المفسّر، (2/ 3).

[17]() **مقاييس اللّغة**، ابن فارس، (2/ 489)، مادة (رجح).

[18]() أبو البقاء الكفوي، **الكليّات**، بلا.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط: (ص/315).

[19]() **أثر البلاغة في التّرجيح عند المفسّرين**، د. عجاج برغش، (ص/7).

تعالى: {فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ} [الماعون: 4]، بقطع هذه الآية عن سياقها، وقراءتها دون قراءة تتمّة الآيات، وهي قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ (5) ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ (6) وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ} [الماعون: 5 – 7]. ولقد نبّه القرآنُ الكريمُ إلى الإعجاز البلاغيّ في العديد من المواضعِ، قال تعالى: { الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1]. فالإحكام هنا يعني بلاغة النّصّ، بحيث لم يستطع أحد من بلغاء العرب على نقده أو استخراج عيب في تماسك أجزائه وانسجام جمله وعباراته، ولقد تحدَّى القرآن الكريم العربَ على أن يأتوا ولو بسورةٍ من مثله في الإعجاز البلاغي والنَّصي، قال تعالى: { وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ} [البقرة: 23].

ثمَّ بدأ العلماء يتحدَّثون عن السِّياق، وأهميَّة النَّظر فيه عند تفسير كلام الله عزَّ وجلَّ، يقول الشَّاطبيّ رحمه الله: " فلَا محِيصَ للمُتَفَهِّمِ عَن رَدِّ آخرِ الكَلَامِ علَى أَوّلِهِ، وأَوَّلِهِ على آخرِهِ، وَإِذْ ذاكَ يَحصُلُ مَقصودُ الشَّارعِ فِي فَهمِ الْمُكَلَّفِ، فَإِنْ فرَّقَ النَّظرَ في أَجزائِهِ؛ فلا يَتَوَصَّلُ بِه إلى مُرَادِهِ، فلَا يصِحُّ الاقتِصارُ في النَّظرِ على بَعضِ أَجزَاءِ الكَلَامِ دونَ بَعضٍ"[20].

والنَّظر في السِّياق هو فرعٌ عن تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، وقد نُقلَ عن بعضِ أهلِ العلم: "إنَّ القُرآنَ يُفَسَّرُ بَعضُهُ بِبَعْضٍ، وإنَّ أَفضَلَ قرينَةٍ تَقُومُ على حقيقَةِ مَعنَى اللَّفظِ مُوافقتُهُ لِمَا سَبقَ منَ القَولِ، واتِّفَاقُهُ مَعَ جملَةِ الْمَعْنَى، وَانْتِلَافُهُ مَعَ الْقَصْدِ الَّذِي جَاءَ لَهُ الْكِتَاب بِجُمْلَتِهِ"[21].

ويقول ابن القيّم: "السِّياق يرشدُ إلى تبيين المجملِ، وتعيين المحتملِ، والقطعِ بعدمِ احتمال غير المرادِ، وتخصيصِ العامِّ، وتقييد المطلقِ وتنوُّعِ الدَّلالة، وهذا من أعظمِ القرائن الدَّالَّةِ على مرادِ المتكلِّم فمن أهملَه غلطَ في نظرهِ وغالطَ في مناظرتِه، فانظرْ إلى قولهِ تعالى: { ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ } [الدخان:49] كيف تجد سياقَه يدلُّ على أنَّه الذَّليلُ الحقيرُ"[22]، فالعلماءُ متَّفقون على دور السِّياق في التَّفسير، وإنْ كان المثالُ الذي ذكرَهُ ابنُ القيّم من سورة الدُّخان يدخلُ فيه المقامُ أيضاً، فمقامُ الكلامِ في الآيةِ مقامُ زجرٍ وترهيبٍ وتهكُّم بالكافرين، وهذا ما سيتَّضح في الفقرةِ الآتيةِ.

---

[20]() **الموافقات**، الشّاطبيّ، (4/ 266).

[21]() نُسب هذا الكلام لمحمد عبده ينظر: **محاسن التّأويل**، القاسميّ، تمهيد خطير في قواعد التفسير، (1/ 205)، و**تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، المقدمة، (1/20)، و ينظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزّرقانيّ، العلوم التي يحتاجها المفسّر، (2/ 52).

[22]() **بدائع الفوائد**، ابن القيّم، (4/ 9).

ولقد اعتنى جلُّ مفسري القرآن الكريم بالسِّياق في تفاسيرِهِم، وأبرزوا دورَه، فكان اعتمادَهم عليهِ ظاهراً كأحدِ الأصولِ الرَّاسخةِ التي ينبغي النَّظرُ فيها عند التّفسير أو التّرجيح، ومن أمثلةِ ذلك:

_في قوله تعالى: { قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا (2) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا } [الكهف: 2_3] ذهب كثير من المفسرين إلى أن معنى قولهِ تعالى: (أَجۡرًا حَسَنٗا) هو الجنَّة؛ بدليلِ قوله تعالى في الآية التي تليها: (مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا)[23]معتمدين على السّياق، ومن هؤلاء المفسرين: النيسابوريّ صاحب تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

_وفي قوله تعالى: {وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ (66) وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (67) وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 65_69]: يتحدَّثُ النِّيسابوريُّ صاحب تفسير رغائب عن سببِ تذييلِ كلِّ آية من الآيات السَّابقة_باستثناء الآيتين 66 و 68_ بالتَّعقيب القرآنيّ الخاصّ بها، فيقول: " (لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ) لأنَّ إنزالَ الماء من السّماءِ وإحياءَ الأرضِ بسببهِ أمرٌ مشاهدٌ محسوسٌ، فمُنكِرُ ذلك فاقدُ الحسِّ، وإنّما خصَّ بالذِّكر حِسّ السَّمع لأنَّ لفظَ القرآنِ المنبِّه على هذهِ الآية مسموعٌ، وختمَ الآيةَ الثّانيةَ بالعقلِ؛ لأنَّه يحتاجُ إلى نوعِ تدبُّرٍ، فالمعرِضُ عنه فاقدُ العقل دون الحسِّ، وختمَ الثَّالثةَ بالتّفكُّر؛ لأنَّ أمرَ النَّحل وقصَّتَها العجيبةَ من انقيادِها لأميرِها واتخاذِها البيوت على أشكالٍ يعجزُ عنها الحاذقُ منَّا، ثم تتبُّعِها الزَّهر والطَّلّ، ثم خروجِ ذلك من بطونِها لعاباً أو قيئاً يقتضي فكرةً بليغةً"[24]. حيث بيَّن المفسّر أثر السّياق في تذييل كلّ آية من الآيات السابقة بما ذيلت به.

المطلب الثّاني: أثر السّياق في التّرجيح عند المفسّرين.

تبرزُ أهمّية عنايةُ المفسِّرينَ بمعرفةِ سياقِ الآيات عند حاجتِهم للنَّظرِ فيهِ عندَ تعدُّدِ الأقوالِ التّفسيريَّة، فكثيراً ما يستطيعُ المفسِّرُ من خلالِ السِّياقِ ترجيحَ أحدِ الأقوالِ على غيرِه.

---

[23]() **ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (4/404).

[24]() **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (4/282).

والسِّياقُ في نظرِ بعض المفسرين يُرجح على قول الصَّحابيّ والتّابعيّ في بعض المواضع، وخاصّة في المواضع التي ربّما عدّ فيها المفسرون الصّحابيّ أو التّابعيّ مجتهداً كغيره من المجتهدين، أو في بعض الرّوايات التي قد تُعدّ من الإسرائيليّات، وعليه فإنَّ قولَ كلٍّ منهما قابلٌ للقبول أو الردّ في نظرهم، ومن أمثلة ذلك:

_في قوله تعالى: {أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ }[البقرة: 259]:

حيث ذهب أكثر المفسِّرين ومنهم الرازي والنيسابوريّ إلى أنَّ المرادَ بالعظامِ عظامُ الحمار[25] لكن بعضهم ذكر قولاً آخر في الآية، وهو أنَّ العظامَ عظامُ هذا الرَّجل نفسه المذكور في الآية، حيث روي عن بعض التابعين أنَّه تعالى أحيا رأسه وعينيه، وكانت بقية بدنه عظاماً نخرة، وكان ينظرُ إلى أجزاءِ عظامِ نفسه، فرآها تجتمع وينضمُّ البعض إلى البعض[26]، لكنَّ المفسرين الذين ضعَّفوا هذا الكلام ومنهم الرازي والنيسابوريّ، اعتمدوا على السِّياق؛ إذ إن قوله: (قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) إنَّما يليقُ بمن لا يرى في نفسه أثرَ التَّغيّر، لا بمن شاهد أجزاءَ بدنه متفرِّقة وعظامَه رميمة. وأيضاً قوله: (ثُمَّ بَعَثَهُ) يدلُّ على أنَّ المبعوثَ هو تلك الجملة التي أماتها[27].

ويمكن أن يظهر أثر السّياق في ترجيح المجاز على الحقيقة في القرآن الكريم، إذ الأصلُ في الكلامِ إجراءُ اللَّفظِ على حقيقتِهِ، ولكنْ عندما يظهر سببٌ يمنعُ من تفسيرِ الكلامِ على حقيقتِه فلا بدَّ من الأخذِ بالمجازِ، وأحدُ الأسباب التي تجعلُ المفسِّرَ يعدل إلى المجاز هو السّياق، وهذا ما أخذ به النَّيسابوريُّ، ومن أمثلة ذلك:

---

[25]() ينظر: **التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (7/ 33)، **وغرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (2/27).

[26]() وهو قول قتادة والرّبيع وابن زيد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (2/27).

[27]() هناك قول ثالث: وهو أن المراد عظام الموتى الذين تعجَّبَ من إحيائهم" ينظر: **الكشّاف**، الزّمخشريّ، (1/ 307)، و**التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (7/ 33)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (2/27).

_ في قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}[الأنفال:46]:

يبيِّنُ المفسّرون معنى قولهِ تعَالى (ريحكُم) وأن المراد بها: الدّولةُ، شُبِّهتْ في نفوذِ أمرها وتمشيتِه على وفقِ المشيئةِ بالريحِ وهبوبِها، حيث يقال: هبَّت رياحُ فلانٍ إذا دالتْ له الدّولةُ ونفذَ أمرُه. كما ذكروا قولاً آخر في الآية، وهو أن الرِّيحُ هنا حقيقةٌ، ولم يكنْ نصرٌ قطّ إلا بريحٍ يبعثُها الله[28]. واستشهد من استشهد بالحديث الشريف: «نُصِرتُ بالصّبا» [29]، والسِّياق هو الذي جعلَ أغلب المفسرين يرجِّحُون المجازَ على الحقيقةِ؛ ومنهم الزمخشري والرازي والنيسابوريّ، حيث إنَّ سياقَ الآية يتحدَّث عن التَّحذيرِ من التَّنازعِ واختلافِ الرأي وبالتَّالي ذهابُ الدَّولةِ، وقد جعلت الآية تنازعَهُم مؤثراً في ذهابِ الرِّيح، ومعلومٌ أنَّ اختلافَهم لا يؤثرُ في هبوبِ الصّبا. وأما استنادِ أصحاب القول الثاني على الحديثِ النّبويّ، لا يعني ذلك عدم صحّة الحديثِ النّبويّ؛ بل يعني بعده عن المعنى المفهومِ من سياقِ الآية [30].

_وفي قوله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ} [الأنعام: 75]:

يتحدَّثُ المفسرون عن معنى الرّؤيةِ التي وردتْ في الآيةِ، حيثُ اختلفَ المفسِّرون: هل كانَت رؤيةً حقيقيَّةً، أم كانتْ مجازيّة بعينِ البصيرةِ، فنُقلَ عن ابنِ عبّاس رضي الله عنهما أنَّ الرّؤية كانت حقيقيَّةً، وقد ورد عنه_ رضي الله عنهما_ أنه قال: «لَمَّا أُرِيَ إِبرَاهِيمُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وأُري ما فيها وما في الأرضِ من العجائبِ، رأى عَبْدًا عَلَى فَاحشَةٍ، فدعَا عليهِ وعلى آخر فهَلَكَ، فقال اللهُ تعالى له: كُفَّ عن عبادي فهم بين خلالٍ ثلاث: إمَّا أن أجعلَ منهم ذريّةً طيّبةً، أو يتوبون فأغفر لهم، أو النَّارُ من ورائهم»[31]. إلا أن رأيَ أكثر المفسرين،

---

[28]() وهو قول ابن زيد، ينظر: **جامع البيان**، الطّبريّ، (1/ 577).

[29]() متّفق عليه، والحديث بتمامه: «نُصِرْتُ بالصّبَا، وأُهْلِكَت عادٌ بالدَّبُور»: **صحيح البخاريّ**، أبواب الاستسقاء، باب قول النبي ✕ نصرت بالصبا، (2/ 33)، رقم (1035)، **صحيح مسلم**، كتاب باب الاستسقاء، باب في ريح الصبا والدبور، (2/ 617)، رقم (900).

[30]() ينظر: **الكشّاف**، الزّمخشريّ، (2/ 226)، و**التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (15/ 489).

[31]() رواه ابن أبي شيبة مختصراً ورواه الطّبريّ عن سلمان الفارسي، **المصنّف**، ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، باب (مما ذكر مما أعطى الله إبراهيم (6/330) ،ﷺ)، رقم (31820)، و**جامع البيان**، الطّبريّ، (11/473)، رقم (13453(

ومنهم الزمخشري والرازي والنيسابوي أنَّ الرّؤيةَ كانتْ بعينِ البصيرةِ، لأنَّ ملكَ السّماواتِ والأرض لا يُرى إنَّما يُعرفُ بالعقلِ، كما استدلّوا بالسّياق، فلو قصدَ بالملكوتِ نفس السّماواتِ والأرضِ لكان لفظ الملكوتِ ضائعاً، وقولُه (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ) [الأنعام: 76] جارٍ مَجرى الشّرحِ والتَّفسيرِ لتلكَ الإراءةِ، فثبت أنَّه استدلَّ بتغيُّرِ الأجرامِ وإمكانِها وحدوثِها على وجودِ الإلهِ الواجبِ الحكيمِ. ثم جاء قوله تعالى بعد عدة آيات: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ}[الأنعام: 83]، والرّؤيةُ بالعينِ لا تصيرُ حجَّةً على قومِه. وأيضاً الإراءةُ بالعينِ تفيدُ العلمَ الضّروريَّ بالإلهِ القادرِ، ومثلُ هذِهِ المعرفةِ لا توجبُ المدحَ والثّوابَ كما للكفّارِ في الآخرةِ، فقد استدلّ المفسرون بعدة أدلّة كثيرة جلُّها يعود إلى السّياق، ومناسبة الآية مع آية أخرى تأتي بعدها، وهي قوله تعالى: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ} [32].

والخلاصة: إنَّ عنايةَ المفسرين بالسِّياقِ وتوظيفَه في التَّرجيحِ بين الأقوالِ التَّفسيريَّة، وإعطاءَه مرتبةَ الصّدارةِ بين أدواتِهم التّرجيحيّة في كثيرٍ من الأحيانِ أمرٌ ظهرَ جَليّاً في تفاسيرِهم من خلال الأمثلةِ السَّابقة، التي حاولتُ من خلالِ تنوّعِها إثباتَ قوةِ السِّياقِ على غيرِهِ من المرجِّحاتِ عند المفسرين.

المبحث الثالث: دور المقام في تفسير القرآن الكريم.

المطلب الأوّل: أثر المقام في التفسير عند المفسرين.

اعتنى المفسرون بالمقامِ في تفاسيرِهم، وأبرزوا دورَه، وفعَّلوه في التَّفسيرِ عند الحاجةِ إليه، ومن أمثلة ذلك:

_وفي قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة: 164]:

يتحدَّثُ المفسرون عن القراءةِ المتواترةِ الواردةِ في قوله تعالى: (وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ) وأنّ هناك من قرأ (الرّيحَ)[33] بالإفراد، وأن قراءة الإفراد هنا ليسَ فيها دلالةٌ على العذابِ في هذا المقامِ،

---

[32]() **ينظر: الكشّاف**، الزّمخشريّ، (2/ 40)، و**التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (13/ 35)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (3/104).

[33]() وهي قراءة متواترة عن حمزة وخلف والكسائيّ، ينظر: **النّشر في القراءات العشر**، ابن الجزريّ، (2/

والذي جاء في الحديث أنَّه صلَّى الله عليه وسلّم كان إذا هبَّت الرّيحُ قال: «اللّهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[34] لا يدلُّ إلا على أنَّ مواضعَ الرَّحمةِ بالجمعِ أولى، كما قال تعالى: {وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ} [الروم: 46]، وقال: {وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ} [الذاريات: 41] [35]. فبعض المفسرين ومنهم النيسابوريّ نبهوا إلى أنَّ المقامَ في هذه الآيةِ مقامُ تعدادٍ لآلاءِ الله في الكونِ، وليس يحملُ في طيَّاتهِ ما يدلُّ على أنَّ (الرِّيح) بالإفراد ريحُ عذاب.

المطلب الثّاني: أثر المقام في التَّرجيحِ عند المفسرين.

وكما كان للسِّياق اللّغويّ أهميَّةٌ كبيرةٌ في التَّرجيحِ، كذلك فإنَّ للسِّياق الحاليّ دوراً مهمّاً فيه، فالمقام له دورٌ كبيرٌ في التَّرجيحِ بين الأقوال التَّفسيريّةِ، ولقد أولى المفسرون المقامَ مكانةً بينَ مرجِّحاتهِم، فكانوا يتنبَّهون إلى ما يناسبُ مقامَ الكلامِ من معانٍ ويتخيَّرُوها، ومن أمثلة ذلك:

_في قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ}[البقرة: 26]:

يبين المفسرون معنى قوله: (فَمَا فَوۡقَهَاۚ) فبعضهم قال المعنى: أعظمُ منها في الحجم[36]، كالذُّبابِ والعنكبوتِ والحمارِ والكلبِ، فإنَّ القوم أنكروا تمثيلَ اللهِ بكلِّ هذه الأشياء، وقيل أرادَ فما فوقَها في الصِّغَرِ، كجناحِ البعوضةِ حيث ضربَه صلى الله عليه وسلم مثلاً للدُّنيا، وعدّ بعض المفسرين ومنهم الرازي والنيسابوريّ هذا المعنى أولى وأرجح لأنَّ الآية نزلتْ في بيانِ أنَّ الله تعالى لا يمتَنع من التَّمثيل بالشَّيءِ الحقيرِ، فيجب أنْ يكون المذكورُ ثانياً أحقرُ من الأول. والفاء هاهنا تفيد التّرتيب في الذّكر؛ لأنَّه يُذكرُ في هذا المقامِ الأخسُّ فالأخسُّ. حيث رجَّحوا كونَ المقصودِ في الآية ما هو أحقرُ من البعوضةِ بدلالة المقامِ، فالمقام مقام استهزاء بالكافرين، والتّمثيل بالشَّيء الحقير يوجب أن يكون المذكور ثانياً أحقر من الأول [37].

.(223

[34]() رواه أبي يعلى الموصليّ والطّبرانيّ، ينظر: **مسند أبي يعلى**، أول مسند ابن عبّاس، (4/ 341)، رقم (2456)، **والمعجم الكبير**، الطّبرانيّ، عكرمة عن عبّاس، (11/ 213)، رقم(11533)

[35]() **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (1/459).

[36]() وهو اختيار الطّبريّ، ينظر: **جامع البيان**، الطّبريّ، (1/ 405).

[37]() ينظر: **التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (2/364)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (1/205).

-وفي قوله تعالى: {فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ} [آل عمران :39]:

نجد أن أغلب المفسرين عدلوا عن معنى الكلمة القرآنيَّةِ التي تمسّ عصمة الأنبياء استناداً إلى المقامِ، حيث قيل في معنى كلمة (وَحَصُوراً): أي محصوراً عن النّساء؛ لضعف ومرض، وضَعّف أغلب المفسرين هذا القول لأنَّه من صفاتِ النَّقص فلا يليق في معرضِ المدحِ. وأجابوا عن معنى الكلمة بأن وزنها على فعول بمعنى فاعل، وهو الذي لا يأتي النّسوان لا للعجز بل للعفّة والزّهد وحبس النّفس عنهن، ..... فالسّيادة لا تتم إلا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع إلى الدّين والدّنيا. والحصورُ إشارةٌ إلى الزُّهد التامّ وهو منع النَّفسِ عمّا لا يعنيه [38]. حيث استبعدَ المفسرون بالمقامِ قول من قال أنّ معنى كلمة (حصوراً): أي محصوراً؛ لأنَّ المقامَ مقام مدح، وهذا قول الرازي والنيسابوريّ، فالقول الذي يصف النّبيَّ بصفات النَّقص ممنوع وفاسد عنده بدلالة المقام، فمقامُ المدح يأبى ذلك، كما ذكر المفسرون أنَّه لو كان ذلك صحيحاً لما استحقَّ النبي الثواب على ذلك [39].

وفي نهاية هذا المبحث يمكن القولُ بأنَّ المقامَ كان إحدى أدواتِ المفسرين في التفسير وفي التّرجيح، والذي تابع فيه عمل أدواته السّابقة من سياق ونظم ومناسبة.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

وفي نهاية هذا البحث لا بد من عرض لأهم النتائج والتوصيات:

-أدرك المفسّرون في عصور متقدّمة ومنهم الزّمخشري (توفي 538ه) والرّازي(توفي 606ه) والنّيسابوريّ (بين 750ه-850ه) أهمية النّظر في علوم العربية قاطبة في أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم، كما أدركوا أهمية النّظر في كلّ من السّياق والمقام والبحث عن أثرهما في التّفسير وكذلك التّرجيح.

-فعل المفسّرون دور السّياق في تفسير القرآن الكريم وفي التّرجيح بين الأقوال التفسيريّة، وقد ظهر ذلك جليّاً من خلال العديد من الأمثلة.

---

[38]() ينظر: **التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (8/212). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النّيسابوريّ، (2/154).

[39]() ينظر: **الكشّاف**، الزّمخشريّ، (1/360)، و**التّفسير الكبير**، الرّازيّ، (8/212).

-وكما كان للسّياق النّصيّ دور في التّفسير والتّرجيح كذلك أدرك المفسّرون أهمّيّة النّظر في السّياق الحالي وهو المقام، واعتمدوا عليه في التّفسير وكذلك في التّرجيح بين الأقوال التّفسيريّة.

-استطاع المفسِّر بالاعتماد على السّياق وكذلك المقام استبعاد بعض الأقوال التّفسيريّة حتّى وإن كان صاحب القول صحابيّاً أو تابعيّاً ما دامت تلك الأقول قد صدرت عن اجتهادهما، كما استطاع المفسّرون دعم المعنى المناسب لإحدى القراءات، واستبعاد الأقوال التي تمسّ عصمة الأنبياء.

أهم التّوصيات: *القيام بدراسات موسعة عن السّياق والمقام ودورهما في التّفسير والتّرجيح عند مفسّرين آخرين قديماً وحديثاً لاستقراء تفعيل دورهما من قبل جلّ المفسّرين في التّفسير والتّرجيح.*

المصادر والمراجع:

-**أثر البلاغة في الترجيح عند المفسرين**، د.عجاج برغش، رسالة الدكتوراه، جامعة دمشق: كلية الشريعة: قسم علوم القرآن والحديث، 2017م، دمشق، 527ص.

-**أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ/1998 م، عدد الأجزاء: 2.

- **بدائع الفوائد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ط)، (د.ت)، 4 أجزاء

-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، 23 جزءاً.

- **تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1990م، 12 جزءاً.

- **تهذيب اللغة:** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م، 8 أجزاء.

-جامع البيان عن تأويل آي القران، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، 24 جزءاً.

-حاشية العلامة البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي، عبد الرحمن بن عبد الله البناني المغربي(ت: 1194ه) على شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864ه)، على جمع الجوامع

للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: 771ه) وبهامشه تقريرات عبد الرحمن الشربيني رحمه الله، دمشق: دار الفكر، (د.ط)، (د.ت)، مجلدان.

-**دلائل الإعجاز في علم المعاني**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، 364ص.

- **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**، المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك: قسم التفسير وعلوم القرآن،(2005م)، الأردن،392ص.

-**صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت:256 هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 9 أجزاء.

- **صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، (د.ت)، 5 أجزاء.

- **غرائب القران ورغائب الفرقان**، نظام الدين الحسن النيسابوري (المتوفى 725ه)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416ه، 6 أجزاء.

- **الكشاف**، أبو القاسم محمود الزمخشري، (ت: 538هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407ه، 4 أجزاء.

- **لسان العرب**، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، بيروت: دار صادر، ط3، 1414ه، 15 جزءاً.

- **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، 9أجزاء.

-**مسند أبي يعلى**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: 307هـ)، المحقق: حسين سليم أسد،دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1404ه/1984م، 13 جزءاً.

- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، (د.ت)، 25 جزءاً.

- **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م، 6أجزاء.

-**مفتاح العلوم**، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1407ه/1987م، 602ص.

-**مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ)، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، (د.ت)، عدد الأجزاء: 2.

-**الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، 7أجزاء.

- **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833 هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، مصر: المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية)، (د.ط)، (د.ت)، عدد الأجزاء: 2.